أصحاب تلك المعامل استغلالاً بشعاً، فيعاني معاناة طاغية تعتصر جسده وروحه، وتدفعه إلى الانكباب على قراءة الكتب، وعقد الاجتماعات السرية في بيته، وإلقاء الخطب على العمال وتحريضهم على الثورة، وحمل رايتهم والسير بها في الشوارع حتى يلقى به في غياهب السجن.. وهذه «ساشا» تضحي بحبها «لياڤل» ـ كما ضحى هو أيضاً ـ على مذبح «القضية» التي اقتنعت بعدالتها، وتهجر أباها الملاك، وتتخذه عدواً لدوداً لها، وتنبري للعمل السري فتكتب المقالات وتشارك في توزيعها على الشعب، وتسجن هي الأخرى، ولكنها لا تقلع عن عملها بعد خروجها. وهذه «ناتاشا» التي طردها أبوها الغني بسبب نشاطها الذي يمس مصالحه توقف حياتها على خدمة الأفكار الاشتراكية، وتعتاد أن تمشي «سبعة فراسخ في الليل، وحدها دون رفيق»[٢٥].. وهذا «سافيلي» الشغيل الذي ظل يكدح عشرة أعوام ثم أصيب بداء السل وألقي به في الشارع فراح يتخذ من وضعه شاهداً على جريمة رؤسائه وقسوتهم، ويخاطب الناس في أسى: «انظروا إليّ ههنا.. أموت في سن الثامنة والعشرين.. قبل عشر سنوات كنت أرفع على كتفي دون أدنى عناء ما ينوف عن المائتين من الكيلوغرامات. وكنت أفكر أني أستطيع بكل سهولة، بتلك البنية المتينة التي أتمتع بها، أن أعيش حتى السبعين.. والآن.. إنها النهاية. لقد سرقني رؤسائي.. سرقوا مني أربعين سنة من حياتي.. أربعين سنة»[٢٦].

وما يقال في «نيلوفنا» و«بافل» و«ساشا» يقال أيضاً في «نيقولاي» و «صوفيا» و«ريبين» وغيرهم من الشخصيات التي يحس القارىء إحساساً كبيراً أنها شخصيات دعائية غرض غوركي منها تعليمي بالدرجة الأولى، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المواقف والأحداث التي يستغلها غوركي كلها لإقناع القارىء بمدى بشاعة الملاكين واستبدادهم بالعمال والفلاحين الذين حرموا من كل شيء. ولهذا فإن زاوية الرؤية عند غوركي تبدو لنا حادة فاقعة الألوان، كما أن الشخصيات تصبح غالباً دمى متشابهة في يد تتصرف في ملامحها مثلما تريد. وذلك ما سنراه عند حديثنا عن النمذجة في الواقعية الاشتراكية.